نظرة في علم الاجتماع المعاصر

لمحة عامة عن علم الاجتماع

يهدف هذا الفصل إلى الاجابة على مجموعة من التساؤلات أهمها : ما هو علم الاجتماع؟ وكيف نشأ ؟ وما اهدافه ؟ وما اهميته ؟ وما اهتماماته ؟ وكيف يختلف المنظور الاجتماعي للعلم عن غيره من العلوم ؟ وما التحديات والمشكلات التي تواجه هذا العلم ؟

ما هو علم الاجتماع؟

علم الاجتماع باللاتينية هو sociology ، وتتكون هذه الكلمة من شقين socio أي المجتمع وlogy أي علم ، واتفق الكثير من علماء الاجتماع وعلى رأسهم اوجست كونت إلى تعريف علم الاجتماع بأنه " العلم الذي يهتم بدراسة المجتمع " . وأوضح كونت مهمة علم الإجتماع بأنه العلم الذي يهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة وضعية ، ويحاول الكشف عن العلاقة بين هذه الظواهر ، إلا أنه لم يوضح ما المقصود بالظاهرة الاجتماعية . وقام دور كايم فيما بعد بتوضيح خصائص الظاهرة الاجتماعية بأنها : ظواهر إنسانية تنشأ بنشأة المجتمع ، وأنها عبارة عن قوالب للتفكير والعمل الإنساني، وبأن لها وجودا منفصلا عن الأفراد الممارسين لها ، وأنها ليست من صنع الفرد ، بل من صنع المجتمع ككل (Durkheim, 1983 )

عرف دور كايم علم الأجتماع بأنه العلم الذي يهتم بدراسة البناء الأجتماعي وما به من مؤسسات من حيث مقوماتها ووظائفها ( Durkheim,1983 ) ويقصد بالبناء الاجتماعي هنا الجماعات الاجتماعية المستمرة والمكونة للبيئة الاجتماعية المحيطة بنا كالأسرة والمدرسة والجيرة ، والتي وجدت قبل الأنسان وستسمر بعد رحيله ( Curry, 1990 .p.4 ) .

ثم شرح براون Browne فيما بعد موضوع علم الاجتماع بأنه الدراسة المنظمة للجماعات الإنسانية والحياة الإجتماعية والمجتمعات الحديثة فهو يهتم بدراسة المؤسسات الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع مثل مؤسسة الأسرة المسئولة عن تنظيم عملية الزواج ، من حيث سن الزواج ،والجماعات التي يمكن للفرد أن يتزوج منها، ومقدار المهر ، وأسلوب التربية الذي يجب على الوالدين اتباعه . والمؤسسة التعليمية هي المؤسسة المسؤولة عن تجديد الأساليب التي يمكن من خلالها نقل المعلومات والمعارف للأبناء ، وهي المسؤولة عن تنمية المهارات والقدرات التي يحتاجها الأفراد لسد احتياجات المجتمع . والمؤسسة الاقتصادية تتولى مسؤولية تنظيم عملية الإنتاج والاستهلاك والتوزيع بين أفراد المجتمع . أما المؤسسة الدينية فتتولى مسؤولية تنظيم العلاقة بين الأفراد والقوى الغيبية ، وتسعى إلى غرس القيم الأخلاقية في المجتمع وتنظيم العلاقة بين الأفراد (Browne, 1995.p.2 ) أما المؤسسة السياسية فمهمتها تنظيم العلاقة بين مراكز السلطة والنفوذ وبين أفراد المجتمع ، وتسعى هذه المؤسسة إلى حفظ الأمن والاستقرار في المجتمع . ومن هنا كانت مهمة عالم الاجتماع دراسة وظيفة كل مؤسسة من هذه المؤسسات على حدة ، والكشف عن طبيعة العلاقة بين هذه المؤسسات ، هل هي علاقة تعاون أم صراع ؟ وكيف تؤثر كل مؤسسة على المؤسسات الأخرى ؟

عرف بعض العلماء علم الاجتماع بأنه العلم الذي يهتم بدراسة " التفاعل الاجتماعي " و" العلاقات الاجتماعية " . ويقصد بالتفاعل الاجتماعي السلوك الصادر عن الفرد نتيج احتكاكه وتعامله مع الأخرين ، فسلوك الفرد في حياتنا اليومية ما هو إلا رد فعل لتصرف الناس من حولنا وللتوقعات المسبقة بيننا كأفراد ( Goodman. 1996.p.3) . ونحن كأفراد نستنتج هذه التوقعات من البيئة الاجتماعية المحيطة ، فعلى سبيل المثال يتعلم الطفل أداب التحية ، واحترام الاخرين ، واحترام الوقت ، واحترام العمل من والديه ، فإذا لم يكتسب هذه القيم منذ الصغر فلن يعرف كيف يتعامل مع الاخرين في الكبر. والإنسان ليس مجرد كائن حي ، بل هو جزء من مجتمع كبير ينتمي إليه ، ويكتسب منه معني إنسانيته ، فهو يتعلم كيف يتكلم ويتصرف كإنسان مع المجتمع المحيط به . وكلنا يذكر قصة طرزان الذي وجد العلماء عام 1974 وهو في السادسه من عمره في إحدى الغابات في إفريقية الوسطى ، والذي تولت جماعة من القردة في تربيته بينهم فكان يأكل الفواكه والخضروات مثلهم ويمشي كما تمشي الحيوانات على أطرافه الأربعة ، ويصدر أصواتا مثلهم عند الإحساس بالخوف او الخطر ، وحتى بعد أن وجده العلماء وحاولوا تعديل سلوكه وتصرفاته بالتدريب المتواصل لمدة عامين ، كان سلوكه أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان .( Eitzen. 1995.p. 148 ) .

ويؤكد بعض العلماء أن علم الاجتماع هو العلم الذي يهتم بدراسة انماط السلوك الناتج عن عوامل اجتماعية لا من عوامل نفسية أو بيولوجية . فالإنسان يختلف عن بقية الكائنات الحية الأخرى بأنه حيوان ناطق فلديه لغة ، وهو حيوان مفكر فلديه تراث ثقافي يساعده في التعامل مع الاخرين . والأنسان يكتسب الثقافة وما بها من قيم ومعايير وعادات وتقاليد من مجتمعه ، ومن خلال عملية التنشئة الاجتماعية ، بحيث تصبح هذه القيم والمعايير بعد فترة من الزمن جزءا لا يتجزأ من شخصيته . وهذا يعني أن عالم الاجتماع يهتم بدراسة الأنماط الاجتماعية التي تتكون من تفاعل الأفراد مع بعضهم البعض ، فهو يركز على دراسة شبكة العلاقات التي تحول تجمع مجموعة من الافراد من مجرد تجمع طارئ إلى جماعة أجتماعية بما تشمله هذه الكلمة من علاقات وأهداف وقواعد . ولكي يدرس عالم الاجتماع لابد وان يدرس مجموعة القيم المشتركة التي تجمع أفراد مجتمع واحد وتجعلهم يسلوكا سلوكا مشتركا في حياتهم اليومية ( Eitzen . 1995.p.24). حقا إن الإنسان قد يبدو حراً في قراراته ، فهو الذي يختار مدرسته أو عمله أو شريكة حياته ، لكنه في الحقيقة ليس حراً حرية تامة في اختياراته ، فهو لم يختر الأسرة التي ولد بها ولا اسمه ، ولم يختر الطبقة التي ينتمي إليها ولم يختر الثقافة التي يمارسها، والمنطقة الجغرافية التي نشأ فيها ، والتعليم الذي تلقاه في فتر الصغر . فهناك امور كثيرة وجدت قبل أن يوجد هو كفرد بل كثيرا ما يجد الإنسان نفسه مجبراً على القيام باعمال كثيرة قد لا يرغب فيها إرضاء للمجتمع الذي من حوله . ألم تجد نفسك يوما ما مجبراً على القيام بتصرف معين رغم عدم قناعتك به إرضاء للناس من حولك ؟ او قد تحرم من اداء عمل ترغب فيه لعدم تقبل الأخرين لهذا العمل . فتصرفاتنا كأفراد كثيراً ما تتأثر بالمجتمع المحيط بنا . فنحن كجزء من الجماعة التي ننتمي إليها نحاول دائما ان نتكيف مع قيم هذه الجماعة ومعاييرها لأدراكنا بان خروجنا عن هذه الجماعة يعرضنا لانتقاداتها ونبذها أو عقابها لنا . فهناك نوع من الضبط الاجتماعي الذي يمارسه المجتمع على الأفراد لحفظ التضامن والاستقرار الاجتماعي . كذلك قد تتأثر قراراتنا الشخصية بقرارات عامة تتخذ من قبل الحكومة او منظمات أخرى لها سلطاتها في المجتمع . على سبيل المثال إذا ما رفعت الحكومة أسعار البنزين ، فسيتأثر استهلاك الفرد لسيارته ، وقد يقلل من خروجه وتحركاته . كذلك فأن رفع شركات الطيران لأسعار التذاكر قد تؤثر على سفر الأفراد للخارج ، وقد يظطروا ألى استخدام السيارة او القطار كوسيلة للتنقل بدل الطيارة .فكثيراًما يتأثر السلوك الاجتماعي للفرد بالظروف المحيطة به .

وقد أوضح بعض العلماء أن علم الاجتماع هو العلم الذي يهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية السائدة في المجتمع ، والظاهرة هي النمط المتكرر من السلوك . فعالم الاجتماع لا يهتم بدراسة السلوك الفردي الذي يحدث بمحض الصدفة ، ولكنه يهتم بالسلوك المتكرر من الافراد . فعلى سبيل المثال يهتم عالم الاجتماع بدراسة ظاهرة غلاء المهور في دول الخليج او ظاهرة العنوسة بين الجامعيات ، أو ظاهرة الادمان بين الشباب ، او ظاهرة العنف الاسري أو الطلاق ..الخ .

وتجدر الإشارة هنا إلى ان علماء الأجتماع لم يهتموا بدراسة المجتمعات في حالة استقرارها فقط ، بل وجهوا اهتمامهم لدراسة التغير الاجتماعي ودوافعه فالأنسان يتميز عن بقية الكائنات الحية الأخرى بالعقل ، وأفعال الانسان لا تتم بشكل تلقائي سلبي، ولكن تتم بناء على قناعات ةاختيارات مطروحه امامه وهذا ما يجعل الانسان لا يقف موقف المتفرج من الثقافة ، فهو لا يتلقاها بشكل سلبي ، بل يأخذ منها ما يناسبه ، ويضيف اليها من خبراته وتجاربه مما يؤدي إلى ظهور الاختراعات ، وهذا ما يجعل الثقافة ليست شيئاً ثابتاً ، بل هي في تغير وتتطور مستمر .

لما كان المجتمع يتكون من عدة جماعات ، ولكن جماعة مصالحها واهدافها الخاصة بها ، فبعض علماء الاجتماع يرونأن مهمة علم الاجتماع هو ذاتيه علاقات الجماعات الاجتماعية الوقتية والمستمرة ، ودراسة عوامل نشأتها واستمرارها ، فالعلاقى بين الجماعات ليست علاقة تعاون وتماسك دائما، بل كثير ما تكون العلاقة قائمة على تضارب المصالح واختلاف الاهداف ز وهذه العلاقة هي التي تؤدي إلى تغير المجتمع وانتقاله من حالة ألى أخرى . لذا فأن علم الاجتماع لا يهتم بدراسة الجماعات في حالة ثباتها واستقرارها فقط ، بل يحاول الكشف عن العوامل التي تدفع إلى الصراع والتغيير في المجتمع .

وهكذا نجد انه رغم اتفاق علماء الاجتماع على دراسة المجتمع إلا أنهم أختلفوا فيما بينهم على محور التركيز : فالبعض يرى أن عالم الاجتماع يجب أن يركز على دراسة البناء الاجتماعي وما به من نظم ، وأخرون يؤكدون ان علم الاجتماع يجب أن يركز على دراسة التفاعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية ، في حين يرى الاخرون ان العلم يجب ان يهتم بسلوك الافراد الناتج عن عوامل اجتماعية لا دوافع غريزية . غير أن بعض العلماء اعتبروا ان علم الاجتماع هو العلم الذي يهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية ، في الوقت الذي أشار البعض إلى أن علم الاجتماع يجب ان يهتم بدراسة الجماعات الاجتماعية الوقتية والمستمرة التي ينتمي إليها الفرد . والحقيقة أن اختلاف توجهات العلماء تثري العلم ولا تضره ، فكل عالم من العلماء يوجه اهتمامه إلى دراسة جانب من جوانب المجتمع التي يراها مهمة من وجهة نظره لإثراء العلم وتوسيع اهتماماته ، ولكنه مع ذلك لا ينسي الجوانب الأخرى .

المجتمع Society :

اتفق علماء الاجتماع على ان علم الاجتماع هو علم دراسة المجتمع لكن ما المجتمع ؟ وهل للمجتمع وجود حقيقي كا يزعم البعض ؟ أم أنه من نسيج تخيلنا ؟ وإذا كان له وجود فأين ؟ وما أهميته ؟ . يؤكد إميل دور كايم ( 1917- 1858 ) الفرنسي الجنسية ، وهو من العلماء البارزين المؤسسين لعلم الاجتماع أن المجتمع حقيقة ثابته ، وان له وجود مستقل عن الأفراد المكونين له . والمجتمع هو جماعة من الناس يعيشون على قطعة محددة من الأرض لفترة من الزمن ، بحيث يكونون معاً يعيشون على قطعة محددة من الأرض لفترة من الزمن ، بحيث يكونون معا ثقافة مشتركة تميزهم عن غيرهم من المجتمعات ، وليس هناك وجود لمجتمع بلا أفراد . فالمجتمع يتكون نتيجة لتعامل الأفراد مع بعضهم البعض بحيث يصبح للأفراد سلوك جماعي يختلف عن سلوكهم فيما لو كانوا افراداً منفصلين أو منعزلين عن بعضهم البعض . وهذه العلاقة التي تكونت نتيجة لاحتكاك الأفراد مع بعضهم البعض هي التي تكون المجتمع .وقد ميز إميل دور كايم بين نوعين من المجتمعات :

1- المجتمعات الصغيرة :

المجتمعات الصغيرة التقليدية وتتميز بالبساطة مثل مجتمعات الجمع والالتقاط ، والرعى والزراعة ، وأهم صفاتها هي : أنها مجتمعات بسيطة غير معقدة ، ومترابطه ، والعامل الرئيسي الذي يجمع بين أفرادها هو وجود قيم أخلاقية ، ومعتقدات واحدة ، وتشابه أفرادها في المهنة ، فالتجانس والتشابه هو سبب أساسي من أسباب تماسكها . وأطلق على نوع الترابط الذي يميز هذه المجتمعات " التضامن الألى " .

2- المجتمعات الكبيرة :

تتميز هذه المجتمعات بالتعقيد ، وعدم التجانس . ويحدث التكامل في هذه المجتمعات نتيجة لاختلاف وظائف أفرادها ، فالتخصص وتقسيم العمل هو اهم ما يميز المجتمعات الكبيرة . فكل جزء من أجزاء المجتمع يعتمد على الأجزاء الاخرى ، وتماسكها هذا ناتج عن اختلافهم وتكاملهم لا عن تشابههم . وأطلق على نوع الترابط الذي يجمع هذه المجتمعات " التضامن العضوي ".

ومن الموضوعات التي اهتم بها علماء الاجتماع في دراستهم للمجتمع هي الكشف عن نوع العلاقة بين افراد المجتمع ، هل هي علاقة تماسك ام صراع ؟ كما حاولوا تفسير العاومل التي تؤدي إلى تماسك المجتمعات وترابطها سواء العوامل المخططه أو غير المخططه ، المتعمده أو التلقائية ومعرفة العوامل الوظيفية أو غير الوظيفية السائدة في المجتمع ، على افتراض انه ليس من الضروري ان تكون جميع التغيرات التي تحدث في المجتمع مؤدية إلى التجانس ، بل قد يكون هناك عوامل تؤدي إلى تخلخل المجتمع، ولو لفترة من الزمن ، ثم يعيد المجتمع بناء نفسه وتوازنه مرة اخرى ، وانقسموا في ذلك إلى مجموعتين :

المجموعة الاولى : ترى أن المجتمع في حالة انسجام وترابط لتحقيق المصلحة المشتركة للجميع في الإنتاج والتوزيع والحماية .

المجموعة الثانية : ترى ان المجتمع في حالة تنافس وصراع ، ويستندون في رأيهم هذا على ان الأشياء التي يرغب بها الناس كالثروة ، والقوة ، ومصادر الطاقة ، والمكانة ، محدودة في المجتمع لذا فإن الصراع والتنافس هو اساس العلاقة بين الأفراد .

ما هي أهمية المجتمع ؟

قد يرى البعض أن السؤال عن اهمية المجتمع سؤال بديهي لا يحتاج إلى إجابة فنحن جزء من المجتمع . ولما كان من اهداف علم الاجتماع التحقق من صحة البديهيات وتوضيحها ، لذا فأن من الضروري توضيح اهمية المجتمع بالنسبة للفرد . فالمجتمع موجود قبل الأنسان ، وسيستمر بعد رحيله ، والمجتمع موجود داخل كل فرد فينا ، ونحن جزء من المجتمع ، لذا فإنه يمكننا تحديد أهمية المجتمع في عدة نقاط هامة :

أولا: المجتمع مهم لأن الأنسان اجتماعي بطبيعته :

يكتسب الانسان طبيعته الإنسانية من المجتمع الذي يعيش فيه . كيف نتصرف كأفراد؟ ماذا نلبس وماذا نأكل ؟ وكيف نتعامل مع الاخرين ؟ كل هذه التساؤلات تعتمد على المجتمع الصغير المحيط بنا. فعندما يولد الإنسان يكون مجرد مخلوق ضعيف عاجز عن إعالة نفسه ،فإذا لم يقدم له الطعام والشراب والحب والأمان ، لمات هذا الطفل الرضيع . في حين ان الكثير من صغار الحيوانات تستطيع الوقوف على قدميها والاعتماد على نفسها في الحصول على الغذاء بعد لحظات من ولادتها . أما المولود الإنساني فأنه يعتمد على الاخرين لعدة سنوات حي يستطيع الاعتماد على نفسه في كسب قوته. وهذه الطبيعة الفيزيقية للإنسان هي التي تجعله يحتاج إلى الافراد من حوله ، وإلى جماعة ينتمي إليها حتى يكتب له البقاء والاستمرار . ومع مرور الوقت يزداد ارتباط الفرد بالجماعات المختلفة لاشباع احتياجاته المتزايدة والمتنوعة. فهو يحتاج إلى الاسرة لتمده بالحب والحنان والغذاءوالكساء والدفء، وهو يحتاج إلى المدرسة لتمده بأنواع المعارف المختلفة ، وهو يحتاج إلى الأصدقاء لقضاء وقت الفراغ ، ويحتاج إلى المصانع لصناعة الملابس والاحذية وادوات المنازل والسيارات وغيرها ، بحيث يجد الفرد نفسه في سلسلة من العلاقات المتبادل فهو يتعلم ويعمل ويقدم حدمات للأخرين ، وهم في المقابل يقدمون له خدمات أخرى . واحتياج الفرد للأخرين ليس احتياجا ماديا فقط ، بل هو احتياج عاطفي ووجداني كذلك . فالفرد فالفرد يحتاج لأن يحب ، ولأن يكون محبوبا من الاخرين ويحتاج للرعاية والاهتمام ، كما يحتاج لتقديم الاهتمام للاخرين ، حيث أنه من الصعب على الإنسان شعوره بعدم أهميته ، وأنه ليس هناك أحداً في حاجة إليه . بجزء من الطبيعة البشرية أنيشعر الفرد بأنه إنسان منتج وانه مرغوب فيه ، وانه ليس وحيداً في هذا العالم ، بل هناك أفراد أخرين يشاطرونه أفراحه وأحزانه ، ويشعرونه بحاجتهم له .

ثانيا: المجتمع ضروري لبقاء الإنسان :

استطاع الإنسان الاستمرار وتجاوز الصعاب البيئية المحيطة به لوجوده في مجتمع ولتعاونه مع الأخرين . فالأنسان يحب ذاته ويقدس حريته ولكنه أدرك بفطرته أنه لكي يكتب له البقاء والاستمرار لابد له من العيش بسلام مع الأخرين . فلكي يجابه الأنسان الاخطار المحيطة به والصعاب التي تواجهه أدرك انه لابد وان يعيش مع الاخرين ، فتعلم بعض المهارات التي تساعده على استغلال البيئة الطبيعية المحيطة به ، بدءا من إشعال النار إلى اختراع الكتابة لتدوين خبراته ونقل معلوماته ، ثم اكتشف مع مرور الوقت أنه لكي يجيد عمله لابد له من التخصص في اعمال معينة اومجالات خاصة تميزه عن الاخرين . فكان التخصص وتقسيم العمل هو أساس العلاقة التي تربط بين الافراد ، ومن هنا كان المجتمع الإنساني نتاج طبيعي لعملية التكييف مع البيئة .

ثالثاً: المجتمع يحدد هوية الفرد الاجتماعية :

الهوية نتاج اجتماعي يحدد مكانة الفرد والدور المتوقع منه أدائه في المجتمع . ومكانة الفرد هذه تحدد نظرته لنفسه سواء كانت هذه النظرة إيجابية أم سلبية، وتختلف مكانة الأفراد في البناء الإجتماعي فالبعض يحتل قمة هذا البناء، والبعض يحتل مكانة متوسطه، في حين يحتل اخرون مكانة دنيا في البناء الاجتماعي . ومكانتنا في هذا البناء هي التي تحدد هويتنا الاجتماعية وتحدد السلوك المتوقع منا أداؤه في هذا البناء. وهذه الأدوار الأجتماعية المتوقع منا أداؤها تختلف من مجتمع إلى أخر باختلاف البناء الاجتماعي واختلاف الثقافة السائدة . فعلى سبيل المثال لا الحصر ، نجد أن الأب في المجتمعات العربية والغربية على حد سواء تقع عليه مسؤولية إعالة الزوجة والأبناء، في حين أننا نلاحظ في بعض المجتمعات مثل التروبرياند لا يكون للأب البيولوجي سلطة فعلية على الأبناء ولا يساهم في تربيتهم، بل يتعين على الخال ان يقوم بجميع المسؤوليات الاجتماعية كالتربية والنصح واللإرشاد لأبن أخته ، بينما يقوم الأب بتربية ورعاية أبناء شقيقته.

العلاقة بين الفرد والمجتمع:

يمكننا اعتبار الفرد والمجتمع وجهان لعملة واحدة ، فليس هناك مجتمع بدون أفراد ، ولا أفراد بدون مجتمع. نحن لن نستطيع التعرف على أنفسنا كأفراد ، وأن نعرف الفرق بيننا وبين الأخرين إلا عندما نعيش في مجتمع . كما أننا نتعلم كيف نعمل ، وكيف نكسب قوتنا من المجتمع المحيط بنا فنحن نولد في مجتمع، وهذا المجتمع موجود قبل ان نولد ، وسيستمر وجوده بعد موتنا. ووجود المجتمع لا يعني أنه يستمر على وتيرة واحدة، بل إنه يتغير بأختلاف الظروف الاقتصادية والسياسية التي نمر بها. وعندما يعيش الفرد في مجتمع ما فإنه ينخرط تلقائيا في بعض العلاقات الوثيقة بين الأخرين . وهذه العلاقات قد تكون مبنية على الحب او الكراهية ، على التعاون أو المنافسة . وقد تكون العلاقة مبنية على علاقة الوجه بالوجه ، كما هي في الجماعات الصغيرة كالاسرة والمدرسة والنادي. وقد تكون هذه العلاقة غير مباشرة مثل علاقة أفراد المجتمع الكبير ببعضهم البعض ، أو علاقة أهل المنطقة السكنية الواحدة في المدن الصناعية.

علاقة علم الإجتماع بالعلوم الإنسانية الأخرى :

تهتم جميع العلوم الإنسانية بدراسة الإنسان من جانب محدد . فعالم النفس يهتم بدراسة شخصية الإنسان والعوامل المكونة لهذه الشخصية كالاتجهات والميول والقدرات الذهنية وغيرها. وعالم الاقتصاد يهتم بدراسة النظام الاقتصادي والموارد المتاحة في المجتمع وطرق استخدامها وتوزيعها. وعالم البيولوجيا يهتم بدراسة جسم الإنسان من الناحية العضوية والوظائف التي تقوم بها مختلف الأعضاء. وعالم الأنثروبولوجيا يهتم بدراسة العوامل البيولوجية والثقافية المؤثرة في سلوك الإنسان وتطور هذا السلوك عبر التاريخ حتي وقتنا هذا . وعالم التاريخ يهتم بدراسة الوثائق والمستندات للكشف عن العوامل المؤثرة في المواقف والأحداث الماضية ، ومحاولة للكشف عن العوامل المؤثرة في الموقف والأحداث الماضية ، ومحاولة للكشف عن الأنماط العامة التي تحكم هذه الأحداث ومعرفة أسبابها ونتائجها. وعالم السياسة يهتم بدراسة مصادر وطرق توزيع القوة في أي مجتمع. أما عالم الأجتماع يهتم بدراسة المجتمع ككل ، وهو يدرس الظاهرة الاجتماعية دراسة شاملة ويربطها بجميع النظم الأخرى في المجتمع .فهو لا يدرس الإنسان كفرد مستقل ولكن يدرس الأنسان كفاعل actor ، وكجزء من النسيج الاجتماعي . وعالم الاجتماع يؤمن أن سلوك الفرد لا يصدر من فراغ ، ولكن ينبثق من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية المحيطة به . لذا فإن علم الأجتماع يستفيد من جميع العلوم الإنسانية الاخرى في دراسته للمجتمع، فهو يدرس الظاهرة أو المشكلة ويربطها بالنظم الأجتماعية الاخرى في المجتمع. فعلى سبيل المثال إذا ما درس الباحث الاجتماعي ظاهرة الطلاق فهو لا يدرسها بمعزل عن النظم الاجتماعية الأخرى في المجتمع ، بل يحاول أن يدرسها تاريخا أولا لمعرفةتطورها عبر التاريخ ، ثم يربط الظاهرة بالنظام السياسي القائم والقرارات التي تتخذها الدولة لحماية الاسرة ، وما هو مصدر التشريع في المجتمع هل هو الدين أم القوانين المدنية ؟ ولأي مدى تتدخل الدولة في الحد من الطلاق بتسهيل عملية الطلاق أم بوضع العراقيل التي تحد من الطلاق ؟ ثم تدرس علاقة الطلاق بالنظام الاقتصادي السائد ، وهل تزداد معدلات الطلاق باختلاف النظام الاقتصادي؟ كما يجاول الباحث أن يدرس الطلاق وعلاقته بالنظام الديني لمعرفة رأى الدين في الطلاق وهل هو مباح أم محرم دينيا. فعلى سبيل المثال يبيح الدين الأسلامي الطلاق، في حين تحرم بعض المذاهب المسيحية الطلاق إلا وفق شروط صعبه .كذلك يحاول الباحث أن يدرس العلاقة بين التعليم والطلاق ، بمعني هل تزداد نسبة الطلاق مع ارتفاع مستوى التعليم ؟ أم العكس؟ وهكذا نجد ان الباحث الاجتماعي عندما يدرس أي ظاهرة او مشكلة لا يدرسها كحالة فردية ولكن يربطها بالنظم الاجتماعية الاخرى في المجتمع ( الهواري 1988 ).

وقد يتفق عالم الاجتماع والصحفي من حيث الاهتمام بدراسة المجتمع ومحاولة وصف الواقع ، وإلقاء الضوء على الظواهر والمشكلات الاجتماعية فيه. لكن الفارق الأساسي بينهما يكمن في ان هدف الصحفي هو جذب انتباه القراء لقراءة المقال ، والتعمد إلى استخدام العناوين الجذابة والمثيرة ، والكلمات الرنانة مضيفا إليها الكثير من المبالغات لشد اهتمام القارئ ، حتي وإن كانت هذه الإضافات تشوه الحقيقة ولا تخدمها ، في حين ان هدف عالم الاجتماع هو وصف الظاهرة بشكل علمي ، ودراستها دراسة وصفية تحليلية اجتماعية لمعرفة أسبابها، ومقارنتها بمثيلتها في عدة مجتمعات لمعرفة أوجه الشبه والاختلاف بينهما . كذلك يحاول عالم الأجتماع أن يرى الأنماط المتكررة من السلوك الإنساني ويحاول الكشف عن القوانين التي تحكمها ، وهو لا يتعمد الغثارة في عرضه لمادته العلمية، بل يحاول وصف الظاهرة كما هي . وصفاً موضوعياً محايداً ، ولا يكتفي بالملاحظة المجردة للظاهرة، بل يستخدم المنهج العلمي في البحث عن الحقيقة.

المنظور الاجتماعي The Sociological Perspective:

المنظور الاجتماعي هو الطريقة التي ينظر بها عالم الاجتماع إلي المجتمع وألي العالم المحيط بنا ، فهو يركز على دراسة العوامل الاجتماعية المؤثرة في الظاهرة ، أو بمعنى أخر يدرس سلوك الافراد النابع من عوامل اجتماعية. فعالم الاجتماع عندما يدرس الإنسان لا يدرسه ككيان مستقل، ولكن يدرسه كجزء من عملية التفاعل الاجتماعي. ولنوضح كيفية اختلاف المنظور السوسيولوجي عن غيره من العلوم أقدم المثال التالي : إذا ما حدثت مشادة بين إنسان عاطل عن العمل يستجدي الناس مالاً وبين أحد المارة ، وقام العاطل على أثرها بضرب الرجل ضرباً مبرحاً . إذا ما حاول عالم النفس دراسة هذا الموقف فإن اول شئ سيقوم به هو فحص هذا الرجل العاطل لمعرفة ما إذا كان مريضاً نفسياً أم لا ، وهل يتعاطى أي نوع من العقاقير، ثم يحاول التعامل معه كمريض ويحاول ان يبحث عن الأسباب النفسية التي دفعته لهذا السلوك المنحرف. أما إذا كان الباحث عالم اقتصاد، فإنه سيحاول معرفة دخل الرجل العاطل، ومن أين يحصل عليه ، وهل يحصل على أي مساعدات من الضمان الإجتماعي؟ وهل هناك فرص عمل متاحة في هذا المجتمع؟ ونسبة البطالة في المجتمع. أما إذا حاول عالم الأجتماع دراسة هذه الحادثة فأنه سيحاول دراسة جميع الجوانب الاجتماعية الدافعة للجريمة : من الناحية الاقتصادية والأسرية والتعليمية والدينية . فيحاول معرفة الجوانب الاجتماعية لهذا الرجل مثل أسرته ، عدد أبناءه أن وجدوا، والكشف عن طبيعة عمله وعما إذا كان هذا الحادث تم بطريق الصدفة ام هو من عصابة تمتهن هذا العمل ؟ كما يحاول الباحث معرفة مستوى الرجل التعليمي ، والمسكن والحي الذي يعيش فيه، والثقافة التي ينتمي إليها ، ونسبة البطالة في هذا المجتمع ليصل منها إلي الأسباب الأجتماعية التي دفعته للجريمة . فعالم الاجتماع لا يهتم بسلوك الفرد الغريزي او النفسي ، ولكنه يهتم بأنماط السلوك المتكررة والتي تظهر كرد فعل للظروف الاجتماعية المحيطة به ( Curry. 1999 ) .

وعند محاولة علماء الاجتماع دراسة المجتمع ، ومحاولة تفسير ما يحدث بين الافراد من ظواهر اجتماعية ، انقسموا في دراستهم للظاهرة إلى مستويين رئيسيين:

المايكرو سوسيولوجي –Micro Sociology ويقصد بها الدراسة المركزة المتخصصة للظاهرة مثل دراسة العلاقات الشخصية بين الافراد كعلاقات الحب او الكراهية ، او دراسة العلاقة بين العامل وصاحب العمل في المصنع ، فهذا النوع من الدراسة يحاول دراسة الظاهرة عن قرب.

والماكرو سوسيولوجي Macro Sociology ويقصد بها الدراسة الشاملة للظاهرة ، مثل دراسة ظاهرة النمو السكاني في المجتمع أو دراسة ظاهرة الهجرة وأسبابها . وهناك أختلاف واضح بين الباحثين في النظرة إلى الموضوع. فإذا ما درس احد الباحثين النظام التعليمي باستخدام المايكرو سوسيولوجي فإنه يركز على جانب معين من النظام ليدرسة كعلاقة الطالب بالمدرس ويحاول الكشف عن طبيعة العلاقة بينهما وأنماط السلوك السائدة والعوامل المؤثرة في هذه العلاقة . ولا يركز على الجوانب النفسية للعلاقة ولكن على الجوانب الاجتماعية المؤثرة في هذه العلاقة . اما إذا ما حاول باحث أخر دراسة النظام التعليمي باستخدام الماكروسوسيولوجي فإنه يدرس النظام التعليمي كجزء من البناء الإجتماعي الكبير ، ويدرس العلاقة بين هذا النظام وغيره من النظم الأجتماعية الأخرى ، فهو على سبيل المثال يدرس أثر النظام التعليمي في تكوين النظام الطبقي في المجتمع، وكيف يؤثر المجتمع على هذه المؤسسة وهيكلها التنظيمي ، فالنظرة هنا للمشكلة أو الظاهرة تكون اكثر شمولية واتساعاً، في حين ان نظرة المايكروسوسيلوجي تكون أكثر تخصصية وتركيزاً على الظاهرة ( Mckee.1969 ).

نشأة علم الاجتماع :

إن التفكير الاجتماعي للإنسان قديم قدم الإنسان نفسه ، وقد ظهرت البدايت الأولى للتفكير الاجتماعي في كتب الفلاسفة والمفكرين منذ لعصر الروماني واليوناني ، عندما حاول الفلاسفة في ذلك الوقت التفكير في الحياة الاجتماعية وعوامل سعادة وشقاء الإنسان ، وعوامل استمرارية المجتمعات وكيفية تكوين المجتمع الفاضل مثل كتابات أرسطو وافلاطون وغيرهم من الفلاسفة القدماء. ولكن البداية الحقيقة لعلم الاجتماع كانت في النصف الأول من القرن 19 إذا ظهرت اللبنة الأولى لهذا العلم مع ظهور الفوضى الفكرية والاضطرابات والمشكلات الاجتماعية التي عمت المجتمع الاوروبي نتيجة للثورة الصناعية والثورة الفرنسية وانتشار الكثير من الشعارات الديمقراطية التحررية ، ذلك أنه نتيجة للثورة الصناعية ، هاجر الكثير من الناس من الريف إلى المدن ، وانتقل الكثير من الفلاحين من العمل الزراعي إلى العمل في المصانع. وكان لهذا الانتقال المفاجئ للفرد من الحياة الريفية الهادئة، إلى حياة لمدن الصناعية المعقده والصاخبه، المليئة بالصراعات والاضطرابات أثارها السلبية على الفرد ، إذا وجد الإنسان نفسه مجبر على تغيير طريقة حياته، واسلوب تعامله مع الاخرين.

وهذه الاضطرابات والصراعات الداخلية أدت إلى حدوث الكثير من المشكلات الاجتماعية في ذلك الوقت كارتفاع نسبة الجريمة ، وانحراف الاحداث، والتفكك الأسرى ، وزيادة نسبة الطلاق، وهذه المشكلات الاجتماعية دفعت العلماء والمفكرين في ذلك الوقت إلى التفكير في المجتمع ، والتساؤل هل سيستمر المجتمع على هذا الحال ؟ أم سينهار؟ وها أحس العلماء بحاجتهم إلى وجود علم مستقل يهتم بدراسة المجتمع ، وبنائه، وعوامل تماسكه وتفككه . ومن هنا ظهرت الحاجة إلى وجود علم الاجتماع كعلم واقعي موضوعي يبحث فيما هو قائم بالفعل وليس ما يجب أن يكون .

كما أن هناك تساؤلات أخرى حاول العلماء الأوائل الإجابة عليها أهمها: ما هي عوامل استقرار المجتمع وتطوره؟ وما هي عوامل تفكك المجتمع؟ ثم ما هي العوامل التي تؤدي إلى تغير المجتمع؟ وكيف يستطيع المجتمع السيطرة على افراده؟ وما اهمية الجماعات الاجتماعية الصغيرة والكبيرة للمجتمع؟ وما هي العلاقة بين الطبقات الاجتماعية ؟ وما الذي يجعل الافراد يتقبلون الطبقة الاجتماعية التي ينتمون اليها حتى وان كانت منخفضة ؟ وما الذي يجعل الافراد ينصاعون لقيم المجتمع وتوقعاته رغم عدم قناعاتهم دائما بهذه القيم ؟ وما أهمية التدرج الاجتماعي للمجتمع؟ وما العوامل المحددة لهذا التدرج؟ وغيرها من الاسألة التي شغلت اهتمام المفكرين الأوائل لعلم الاجتماع الإجابة على الكثير من هذه التساؤلات وتبلورت محاولاتهم هذه في جانبيين رئيسيين:

الجانب النظري للعلم: وهو الذي يسعى لدراسة المجتمع ، وبنائه، والنظم الاجتماعية المكونة له، ودراسة التفاعل الاجتماعي، والظواهر الاجتماعية الناجمة عن هذا التفاعل ، ومحاولة الكشف عن القوانين التي تحكم التفاعل الاجتماعي .

الجانب التطبيقي: والمتمثل بالدراسة المنهجية للمجتمع وظواهره ومشكلاته ومحاولة ربط الظاهرة بالظواهر الاجتماعية الأخرى . ويتناول علم الاجتماع التطبيقي العديد من القضايا كالصحة والتعليم والتجارة والسياسة وغيرها من الأمور (Henslin.1998) . وتعتبر دراسة إميل دور كايم للانتحار ، من أفضل الدراسات التطبيقية في علم الاجتماع. ومنذ ذلك الوقت وحتى الوقت الحاضر ظهر العديد من الدراسات المنهجية التي درست العديد من الظواهر الاجتماعية المحيطة بنا .

أهم العلماء المؤسسين لعلم الاجتماع :

ابن خلدون 1332- 1406:

حقا أن علم الاجتماع كعلملم يظهر إلا في أوائل القرن التاسع عشر لكن هناك الكثير من العلماء الذين كان لديهم الحس الاجتماعي والذين ناقشوا الكثير من القضايا الإنسانية بشكل إجتماعي ، وعلى رأس هؤلاء المفكر والعلامة العربي عبد الرحمن ابن خلدون الذي يعتبر المؤسس الأول لعلم الاجتماع. إذا ظهرت كتابات ابن خلدون في القرن الرابع عشر، وكان رجل بلاط وسياسة ، سافر إلى الكثير من البلاد ، واحتك بالعديد من الشخصيات وقرأ الكثير من كتب المؤرخين لمعرفة تاريخ الإمبراطوريات وعوامل اضمحلالها . وأكد ابن خلدون على ضرورة وضع علم أطلق عليه أسم " علم العمران البشري " وأكد في هذا الكتاب على أن الأنسان اجتماعي بطبعه. فالأنسان قاصر عن تحصيل احتياجاته بمفرده ولإشباع هذه الاحتياجات كان لابد له من العيش مع الاخرين . فهو يحتاج إلى المجتمع للحصول على قوته وغذائه، ويحتاج إلى الاخرين للحماية والدفاع عن نفسه من أخطار الطبيعة ، وعلى الرغم من ان ابن خلدون لم يستخدم مصطلح علم الاجتماع بشكل مباشر لكنه تحدث عن المجتمع ومكوناته وطرق دراسته وعوامل تطوره. ومن أهم كتبه كتاب مقدمة ابن خلدون الذي ناقش فيه العديد من القضايا أهمها تاكيده على أن العالم وما تحدث به من ظواهر لا يسير حسب الأهواء والمصادفات وإنما يسير وفق قوانين مطرده ثابته لا تقل في ثباتها عن القوانين الطبيعية . وتحدث ابن خلدون عن تطور المجتمعات وأكد أن البدو أقدم من الحضر يهتمون بالترف والكماليات ، والبدو أقرب إلى الخير من الحضر.

واهتم ابن خلدون كذلك بالعوامل التي تعمل على تماسك المجتمع، واكد على ان العصبية من اهم عوامل تماسك المجتمعات التقليدية . فالبداوة هي اساس المجتمعات الانسانية ، واهم ما يميز البداوة سيطرة العصبية على افرادها. والعصبية او التعصب وينظر له نظرة سلبية في وقتنا الحالي لأنها تعني التحيز وعدم الموضوعية، لكن ابن خلدون نظر إلى العصبية من منظور إيجابي فاعتبرها عامل هاما من عوامل تماسك المجتمعات واستمراراها وتطورها ، فعندما يميل أهل البادية إلى الاستقرار والدعة تضعف العصبية بينهم وتذهب قوتهم فتبدأ إمبراطوريتهم بالانهيار.

ومن الموضوعات التي اهتم بها ابن خلدون العلاقة بين النظام السياسي والعصبية فقال إن الحكم عادة ما يكون في العصبة القوية ، وإذا ما فرضت سيطرتها على القبائل الأخرى استأثرت بالحكم وأذعنت لها القبائل الأخرى. ويرى ان الحكم عادة ما يكون وراثياَ في الإمبراطورية الواحدة . وحدد عمر كل إمبراطورية بأربعة أجيال، الجيل الأول هو الجيل المؤسس وهو الذي يضع دعائم الدولة . والجيل الثاني هو جيل الأبناء الذن يحاولون السير على نهج أبنائهم ليحافظوا على ما حققه الأباء من نجاح. أما الجيل الثالث فهو جيل الأحفاد ، وهذا الجيل يكون مقلداً أكثر منه مبدعاً ، ويميل هذا الجيل للاستقرار والدعة . والجيل الرابع هو جيل أبناء الاحفاد وهؤلاء تضعف عندهم الدوافع ويجهلون الاعمال التي حققها أجدادهم فلا يبذلون الجهد للحفاظ على الامجاد فهم يعتقدون أن ملكهم حق وراثي اكتسبوه منذ أول النشأة وانه جاء لهم دون معاناة ولا تكلف ، ويتوهمون ان نسبهم فقط يعطيهم الحق للاحتفاظ بالحكم أبد الدهر فينغمسون في اهوائهم وملذاتهم فتنهار دولتهم وتذهب قوتهم ( مقدمة ابن خلدون – 1984 ).

وهكذا يمكننا القول أن ابن خلدون اول مفكر حدد موضوعات علم الاجتماع واهميته ورسم منهجه، غير ان أرائه وكتاباته لم يكتب لها الذيوع والانتشار في عصره ، لذلك لم ينل ابن خلدون ما يستحقه من التقدير والانتشار في عصره إلى ان قام بعض المستشرقين في القرن التاسع عشر بترجمة مقدمته وتحليل أرائه فارتفع ابن خلدون منذ ذلك الوقت إلى مصاف المؤسسين الاوائل لعلم الاجتماع .

أوجست كومت Augustecomte1857-1798:

ذكرت سابقا أن علم الاجتماع كعلم لم يظهر ألا في النصف الأول من القرن التاسع عشر نتيجة لعاملين رئيسين : قيام الثورة الصناعية في بريطانيا وقيام الثورة الفرنسية التحريرية في فرنسا . إذا سادت هذه المجتمعات الكثير من الاضطرابات والفوضى الفكرية والاجتماعية، حيث وجد الإنسان نفسه فجاة في ظروف تحتم عليه تغيير طريقة حياته ، وتغيير علاقاته الاجتماعية من علاقات شخصية حميمة تقوم على علاقة الوجه بالوجه ، إلى علاقات تقوم على المصلحة الفردية ، والعلاقات غير الرسمية، والتخصص وتقسيم العمل . فلم يعد إنسان اليوم هو نفسه إنسان الامس ، ولا مجتمع اليوم هو نفسه مجتمع الأمس. وهذا التغيير المفاجئ أصاب الأنسان بصدمة ثقافية حادة هزت كيانه وزعزعت القم والمعايير الأخلاقية التي كان يؤمن بها، فأحس بحالة من الضياع القيمي، فلم يعد يعرف ماذا يريد ، ولا إلى أين يسير. فهو من جهة يرغب في تنشئة أبنائه بنفس الطريقة التي نشأ عليها في مجتمع الريف، ومن جهة أخرى يرغب في اندماجهم في المجتمع الجديد الذي هاجروا إليه واكتسابهم القيم والمؤهلات التي تساعدهم على التكيف مع هذا المجتمع الذي اصبح جزءاً منه، وغريب عليه في الوقت نفسه، فنجده يعيش في حالة صراع بين ما هو كائن وبين ما يجب أن يكون . ففو يحلم بحياة المدينة وما بها من ديمقراطية ورفاهية في العيش، ولكنه يتوق لحياة الرف وما بها من راحة وأمان. وهذه التناقضات في مشاعره وقيمه وفي حياته جعلته يعاني الكثير من المشكلات والاضطرابات النفسية والاجتماعية لعدم وضوح الهدف أمامه. وهذا ما أدى إلى ظهور الكثير من المشكلات في المجتمع.

كما كان لانتشار الكثير من شعارات الديمقراطية التحريرية في فرنسا اثارها في زعزعة النسق القيمي في المجتمعات الاوروبية . وادت هذه النزاعات والفوضى الداخلية التي ظهرت في المجتمعات الإقطاعية إلى حدوث الكثر من المشكلات الإجتماعية في ذلك الوقت كارتفاع نسبة الجريمة وانحراف الاحداث، وارتفاع نسبة الطلاق، وزيادة التفكك الأسري، مما دفع المفكرين والعلماء في ذلك الوقت إلى التفكير في المجتمع والتساؤل هل سيستمر المجتمع على ذلك الحال أم سينهار؟ وما العوامل التي تساعد على تماسكه؟ وكيف يمكن إعادة التوازن للمجتمع؟

وهنا احس العلماء والمفكرين وعلى رأسهم أوجست كومت بضرورة وجود علم مستقل يهتم بدراسة المجتمع وظواهره ، ويدرس مشكلاته والعوامل التي تساعد على استمراريته واطلق عليه اسم علم الاجتماع أي العلم المسئول عن دراسة المجتمع. واعتبره علماً وضعياً مثل سائ العلوم الطبيعية بل وضعه على قمة العلوم الوضعية كلها واعتبره علم العلوم. وكان الهدف من وراء هذا العلم هو إعادة بناء المجتمع الفرنسي. قسم كونت موضوعات علم الاجتماع إلى شعبتين:

الشعبة الاولى واطلق عليها أسم الديناميكا الاجتماعية La Dynamique Social

وتهتم بدراسة قوانين الحركة الاجتماعية وعوامل تقدم المجتمعات وتطورها .

الشعبة الثانية وأطلق عليها اسم الاستاتيك الاجتماعية La Staique Social

وتهتم بدراسة المجتمعات في الة استقرارها، وفي فترات ثباتها، ومحاولة الكشف عن العوامل التي تساعد على تضامن المجتمعات واستقرارها.

كذلك حدد اوجست كونت أسس الدراسة الوضعية ومنهج البحث في علم الاجتماع ، واكد على ضرورة دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة وضعية دون التأثر بأي اهواء شخصية مسبقه. ويرى ان الدراسة الوضعية للظاهرة تعتمد على استخدام أربع وسائل رئيسية هي الملاحظة والتجربة والمنهج المقارن والمنهج التاريخي ( الخشاب 1990 ).

أميل دور كايم ( 1858-1917):

ولد أميل دور كايم فيي مدينة لورين في باريس لأسرة يهودية، حيث كان يعمل والده واجداده كرجال دين. إلا أن دور كايم لم يرغب في السير في خطوات أجداده واختار الدراسة الدنيوية . ولكثرة إسهاماته وكتبه العلمية عين استاذاً في جامعة باريس.

كان دور كايم يقدس التدريس ويعتبره ويعتبره أشرف مهنة يمكنه العمل بها وقد تتلمذ العديد من علماء الاجتماع في باريس على يده. كذلك استطاع دور كايم مع مجموعة من أصدقائه إصدار أول مجلة اجتماعية في باريس . وكان رجلاً وطنياً نشر الكثير من المقالات عن وضع فرنسا السياسي أثناء الحرب العالمية الأولى . وفي عام 1916 فقد دور كايم ابنه الوحيد في الحرب وحزن عليه حزناً شديداً مما أدى إلى إصابته بجلطة أودت بحياته عام 1917 من عمر يناهز التاسعة والخمسين ( Wallace,R.1995 ).

ويرى دور كايم أن علم الاجتماع يجب ان يهتم بدراسة الحقائق الاجتماعية Social Facts والبناء الاجتماعي Social Structure . واشار إلى أن للبناء الاجتماعي وجود مستقل عن الأفراد المكونين له ، فاللغة على سبيل المثال حقيقة اجتماعية Social Facts ، ولها وجود مستقل عن الأفراد المكونين لها . وقد حدد دور كايم أهم خصائص الحقيقة الاجتماعية بأنها خارجة عن الأفراد extermality، وإجبارية Constraint، وعامة Generality بين جميع الأفراد ( Thompsson.1982 ).

كما أكد على ان للمجتمع وجود مستقل عن الأفراد ، وهذا الوجود أدى إلى تكوين وعي إجتماعي Social Consciousness مشترك يميزه عن غيره من الأفراد ، وأطلق على هذا الوعى اسم العقل الجمعي Group Mind وهذا العقل الجمعي يتكون من وجود الأفراد معاً لفترة طويلة من الزمن وله وجود مستقل عنهم، وهو الذي يجعلهم يفكرون بشكل متشابه ويتصرفون وفق سلوك واحد في المواقف المتشابهة. والعقل الجمعي بالنسبة لدور كايم ما هو إلا مجموع عقول الأفراد وهي في حالة تفاعل مستمر . فعقول الافراد ليست منغلقه على ذاتها ولكنها تتفاعل مع بعضها البعض حسب المواقف والظروف التي يمرون بها. ويرى أيضاً أنه يمكننا إدراك الوعى الاجتماعي من خلال الرموز الاجتماعية السائدة في المجتمع كالدين والقرابة. وقد تأثر ابن أخيه وتلميذه مارسيل موس Marcel Mauss بكتابات دوركايم عن الرموز الاجتماعية واستخدمها في دراساته الاجتماعية. ثم تأثر به فيما بعد ليفي ستروس Levi Strauss الفرنسي الجنسية، وأصبحت أرائه الدعامة التي ارتكزت عليها المدرسة البنائية فيما بعد.

ويرى دور كايم أن الدراسات الاجتماعية تتكون من عدة مستويات تشمل المؤسسات الاجتماعية والبيئية والسكان والمواصلات وغيرها، ووضع المعرفة الاجتماعية في أعلى مستوى من هذا التقسيم . لكن دوركايم يؤكد أن علم الاجتماع يجب أن لا يتوقف عند حد الوصف، بل يجب أن يتعمق لمعرفة العلاقة بين هذه الظواهر والكشف عن العوامل الاجتماعية المحركة لسلوك الافراد. ولهذا يرى ان علم الاجتماع يجب أن يبحث طرق التفكير والسلوك الغير شخصي للأفراد والتي تؤدى إلى تكوين الظواهر الاجتماعية (Thompson,K.1982 ) . كما أكد على ان نظرة علم الاجتماع للظواهر الاجتماعية نظرة شاملة عامة فهو من أنصار الماكرو سوسيولوجي. وفي كتابة أسس علم الاجتماع حاول دوركايم أن يوضح وظائف الحقائق الاجتماعية وكيف انها تحاول إشباع احتياجات المجتمع. فحاول أن يفسر الظواهر الاجتماعية بظواهر اجتماعية أخرى . كذلك اعتبر العقاب كرد فعل اجتماعي للجريمة. فالمجتمع يفرض العقاب كوسيلة للمحافظة على التوازن والترابط بين أفراد المجتمع الواحد.

كما تطرق دوركايم في كتابه " قواعد المنهج السوسيويولوجي" The Rules of Sociological Method إلى القواعد الرئيسية اتي ينبغي على الباحث الاجتماعي الاعتماد عليها في دراسته للظاهرة الاجتماعية . وعرف علم الاجتماع بأنه العلم الذي يهتم بدراسة المؤسسات الاجتماعية من حيث تكوينها ووظائفها. وكان يقصد بمصطلح المؤسسات جميع القيم والأشكال التي تكونت بشكل جمعي.

كارل ماركس Karl Marx (1818-1883 ):

ولد ماركس عام 1818 في ألمانيا في أسرة يهودية ، وليحافظ والده على وظيفته كمحام تحول إلى البروتستانتيه ليتفادى الاضظهاد الذي كان يوجهه الالمان لليهود في ذلك الوقت . وقد حصل ماركس على درجة الدكتوراه من جامعة جينا Jena ، وعمل كصحفي لفترة من الوقت ثم اتجه إلى النشاط السياسي . ويرى ماركس أن هذف علم الاجتماع يجب أن يكون العمل من أجل تحقيق أو خلق مجتمع أفضل . وتأثر ماركس كثيراً بأراء أستاذه هيجل المثالية إذا حاول هيجل أن يفسر التاريخ تفسيراً مثاليا إنسانيا. لكن تلميذه ماركس وإن كان قد تأثر بأرائه إلا أنه قلب نظريته رأساً على عقب . فقد حاول تفسير التاريخ تفسيراً مادياً، حيث يرى ان العامل المادى هو العامل الأساسي المحرك للأحداث. ومن ثم وضع عدة كتب عن الشيوعية وعن حتمية الثورة وحتمية التغيير الاجتماعي للمجتمعات . وعندما قامت ثورة ألمانيا عام 1848 وفشلت أضطر ماركس للهرب إلى لندن وعاش في المنفي إلى أن توفي عام 1883. وخلال فترة إقامته في لندن ساءت أحواله المادية جداً حتي ان صديقه فردريك إنجلز كان يساعده مادياً ويشد من ازره. ولكن رغم ذلك استمر ماركس في كتاباته، ووجدت كتاباته صدى واسع في معظم أنحاء اوروبا وروسيا وألمانيا.

ويرى ماركس ان هدفه الأول هو تحرير العمال من حالة الفقر والاضطهاد التي يعانون منها نتيجة للثورة الصناعية، وكان يرى ان الثورة هي الحل . وكان فكره وأرائه هذه مصدر غضب واستنكار الكثير من الدول خاصة الولايات المتحدة الأمريكية . وقد استغل حكام الحزب الشيوعي أفكاره لتكوين الاتحاد السوفيتي . وبأسم الشيوعية اعدم الحاكم الديكتاتوري جوزيف ستالين Joseph Stalin ملايين الفلاحين والعمال، على الرغم من ان مبادئ ماركس لم تكن تدعو إلى القتل الجماعي (Curry.1999.P.8 ) .

ويعتبر ماركس هو المؤسس الاول لنظرية الصراع، حتي أن الكثير من الناس يعتبر ماركس والصراع وجهان لعملة واحدة. وقد احدثت نظية ماركس تغيرات كبيرة في العديد من المجتمعات. فالعديد من الثورات قامت نتيجة لتأثرها بأراء ماركس. لذا تعتبر نظرية ماركس في الصراع مثال حي لدور النظرية في التأثير على العالم، فليس هناك نظرية أثرت في العالم مثل نظية ماركس في الصراع.

ماكس فيبر Max Weber ( 1864-1920 (:

ولد ماكس فيبر في أسرة أرستقراطية ألمانية، فوالده كان أحد الرجال البارزين في حزب التحرير القومي في ألمانيا، ووالدته كانت من أسرة غنية ومتدينة ومثقفة. وكان هو من الطلبة البارزين أثناء حياته الجامعية وكان نشطاً سياسياً، وكان متعدد الاهتمامات فقد كتب العديد من المقالات في السياسة الاقتصادية ، والنمو السياسي ، وعلم النفس الاجتماعي، والعمل الصناعي ، وعلم الاجتماع الديني، والتاريخ الاقتصادي،وتقلد العديد من المناصب السياسية والأكاديمية.

كرس فيبر جزءاً كبيراً من عمله الأكاديمي في مناقشة أراء ماركس. وقد اتفق العالمان في بعض النقاط، واختلفا في بعضها الأخر ، فمن نقاط الالتقاء بينهما اهتمامها بدراسة الرأسمالية الصناعية ، ولكن في الوقت الذي أدان ماركس الرأسمالية ، والنتائج السيئة التي ستترتب عليها كظهور حالة الاغتراب بين العمال ، يرى ماكس فيبر أن الرأسمالية تمثل العقلانية Rationalization في التفكير لدى المجتمعات الصناعية، فالفرد في المجتمعات الصناعية يحاول اتخاذ أفضل القرارات العقلانية وفقا لظروفه المتاحة، فيرى فيبر أن التفكير العقلاني حل محل التفكير التقليدي الذي كان سائداً في المجتمعات التقليدية، وأوضح فيبر أن الفرد في المجتمعات التقليدية كان يعتمد على علاقاته القرابية في حالة مواجهته لأي مشكلة، فإذا ما مرض الفلاح، كان أهله أو أصدقاؤه يقومون بالعمل بالنيابة عنه، أما في المجتمعات الصناعية، فالعامل إذا مرض فأن زملاؤه في العمل هم الذين يقومون بالعمل عنه. وهذايعني ان البيروقراطية في المجتمعات الصناعية حلت محل القرابة في المجتمعات التقليدية. ولماكس فيبر العديد من الكتابات في البيروقراطية وفي المذهب البروتستانتي وعلاقته بالرأسمالية ، وفي العديد من الموضوعات الاجتماعية (Wallace. 1995 ) وقد كان ماكس فيبر مثل دور كايم وكارل ماركس مستغرقاً في عالم عصره، ورسم معهم خطوط عريضة للمنظور الحديث لعلم الاجتماع عبروا من خلالها عن العالم المتغير . إذن كانت الظروف غير المستقرة، والمشكلات الاجتماعية التي عمت مجتمعاتهم هي التي أدت إلى بذل المجهودات العقلية الخلاقة، والتي أقامت الأساس النظري لعلم الاجتماع المعاصر.

أهداف علم الاجتماع:

يسعى علم الاجتماع إلى تحقيق العديد من الأهداف أهمها:

1- وصف الواقع الاجتماعي:يعى العلم إلى وصف وتفسير الحياة الأجتماعية للافراد، والعوامل المؤثرة في سلوكهم. فكثيراً ما يعتقد الأفراد أن مجرد وجودهم في مجتمع يعنى بالضرورة فهمهم لكل ما يدور في هذا المجتمع من أحداث، وإدراكهم لما يحدث به من ظواهر اجتماعية كارتفاع نسبة الجريمة في المدن، وانتشار المخدرات بين الشباب، وارتفاع معدلات الطلاق في المدن الصناعية وغيرها من ظواهر قد لا يلحظها الناس العاديينأو رجل الشارع، ثم يفاجأ الناس من حين لأخر بتعرية علماء الاجتماع للكثير من هذه الحقائق ، فينكرونها في بادئ الأمر ، ثم يدركون صحة هذه المعلومات ويقدرون أهمية علم الاجتماع.

2- تفسير الظواهر والمشكلات الاجتماعية: يهدف علم الأجتماع إلى تفسير الظواهر التي تحدث في المجتمع، ذلك أن عالم النفس دائماً ما يرجع المشكلات الاجتماعية إلى عوامل شخصية كاضطرابات الشخصية وذكريات الطفولة الاولى وغيرها من عوامل ترجع إلى الفرد وتركيبته الشخصية ، في حين أن عالم الاجتماع يرى أن الشخصية ما هي إلا نتاج اجتماعي، وأن أي يفعل يقدم عليه الفرد ما هو إلا رد فعل للبيئة الطبيعية والاجتماعية التي يعيش فيها، فيحاول الباحث الاجتماعي الكشف عن دور العوامل الاجتماعية في توجيه سلوك الإنسان في الموقف الواحد.

3- الوصول إلى القوانين العامة : يحاول علم الاجتماع الوصول إلى القوانين التي تحكم سلوك الإنسان. فعلى سبيل المثال يحاول علم الاجتماع أن يفسر سلوك الأفراد في المجتمعات المختلفة ، وكيف تختلف ردود أفعالهم من مجتمع إلى أخر باختلاف الثقافة السائدة.

4- تنمية الخيال الاجتماعي لدى الفرد: يهدف علم الاجتماع إلى تنمية الخيال الاجتماعي لدى الفرد فيتعلم الكشف عن العلاقة غير المرئية بين أفكارنا وسلوكنا، والكشف عن العلاقة بين معتقداتنا والأيديولوجية العامة السائدة في المجتمع وبين سلوكنا في الحياة اليومية.

5- دراسة الظاهرة الاجتماعية دراسة شاملة متكاملة: إذا ما درس عالم الاجتماع المدرسة فهو لا يدرسها من وجهة نظر الإداريين فقط بل من وجهة نظر المدرسين والمدرسات والطلبة. كذلك عندما يهدف إلى تقييم الخدمات الصحية في منطقة ما، فهو لا يقيمها من وجهة نظر المديرين فقط ، بل من وجهة نظر الأطباء والممرضات والمرضى كذلك. كما أنه عندما يدرس المصنع فهو لا يدرسه من وجهة نظر أصحاب المصنع فقط، بل من وجهة نظر المديرين والعمال والأفراد المستفيدين منه (Joseph.1986.P.5 ) .

6- تصحيح مفاهيمنا لبعض القضايا المحيطة بنا: والتي نعتقد أنها حقائق ، ولكنها في الحقيقة ليست كذلك ، بل تعكس وجهة نظر فئة معينة فقط في المجتمع ، أو قد تكون مبنية على معلومات خاطئة أو ناقصة أعطيت إلينا فكونا لأحكامنا ومفاهيمنا بناء على هذه المعلومات. وهناك مجموعة من الحقائق العامة التي تخص الفرد ، والتي يضعها علماء الاجتماع أمام القارئ أهمها

1. إن الفرد عادة ما يستمع إلى ما يود هو أن يسمعه ، فهو لا يسمع كل ما يقال له معلومات بل ينتقي منها ما يود أن يسمعه.
2. عادة ما يتذكر الإنسان ما يود أن يتذكره ويتناسى بقية المعلومات التي لا تتفق مع ما يريد؟
3. كثيرا من المعلومات التي نؤمن بها كبديهيات هي معلومات تتفق ومبادئنا وقيمنا ونستخدمها كوسيلة لمعارضة أي أراء جديدة لا تتفق مع مبادئنا وقيمنا ونستخدمها كوسيلة لمعارضة أي آراء جديدة لا تتفق مع مبادئنا . من أمثلة هذه البديهيات ، أن يؤمن البعض بأن المرأة أقل ذكاء من الرجل ويدافعوا عن رأيهم هذا بأنه من البديهيات. ثم تؤكد الدراسات العلمية أنه ليس هناك فروق تذكر في الذكاء بين المرأة والرجل.
4. كثيرا ما يقلل الفرد من قيمة التغير الاجتماعي، ويعتقد أن المجتمع في حالة ثبات واستقرار . فالإنسان في حياته اليومية لا يلحظ التغيرات الداخلية في المجتمع ويقلل من أهميها في حين أن علم الاجتماع يكشف لنا عن هذه التغيرات التي تحدث في المجتمع.
5. كثيرا ما يبالغ الأفراد في قدر الحرية التي يتمتع بها الفرد في حياته وقدراته على اتخاذ قراراته بشكل مستقل حتى أنهم لا يشعرون بدور المجتمع وتأثيره على الفرد في اتخاذ القرارات. فهم لا يلمسون دور الوالدين أو جماعة الأصدقاء أو المدرسين في التأثير على قرارات الفرد وفي نظراته إلى نفسه ، والى الناس من حوله. فنحن في حياتنا اليومية لا نتصرف كأفراد مستقلين، بل نتصرف وفق الأدوار المرسومة لنا من المجتمع و مخالفتنا لهذه الأدوار يعرضنا لنقد المجتمع وجزاءاته المختلفة.
6. المبالغة في تصوير الطبيعة البشرية ودورها في السلوك الإنساني. فكثيرا ما يلجأ الإنسان العادي إلى وصف أي تصرف من تصرفات الأفراد أنه جزء من الطبيعة البشرية ويقال أن هذا السلوك غريزي في الفرد. فعلى سبيل المثال يعتقد الكثير من الناس أن العدوانية و العنف سلوك طبيعي لدى الإنسان أو أن البكاء بصوت مرتع عند الحزن سلوك طبيعي للإنسان والحقيقة أن هناك غرائز طبيعية لدى الانسان كغريزة الجوع والعطش والجنس والحب والكراهية لكن أسلوب التعبير أو طريقة إشباع هذه الغرائز تختلف من مجتمع الى آخر ، فالكراهية غريزة طبيعية في الإنسان لكن طريقة التعبير عن هذه الكراهية بالعنف أو العدوانية تختلف من مجتمع إلى آخر ، فسلوك الانسان مكتسب يتعلمه من المجتمع المحيط به.

ومن هنا كانت الوظيفة الرئيسية لعلم الاجتماع هي تحديد العوامل الاجتماعية التي تؤثر على سلوكنا كأفراد . وأنه لا يمكن للفرد التحرر من هذه الضغوط الاجتماعية إلا بالكشف عن هذه الضغوط وكيف تعمل في تشكيل شخصياتنا وسلوكنا. وعندما نكشف هذه القوى الخارجية التي توجه سلوكنا يمكننا قبول أو رفض هذه القوى. فعلى سبيل المثال : إذا نشأنا في مجتمع عنصري ، فسنصبح عنصرين ولن نتحرر من هذه العنصرية حتى نعرف ما معنى العنصرية واسبابها ، حينئذ فقط قد يمكننا ان نتخلى عن هذه العنصرية .

إذ عادة ما يكون الأفراد كالعرائس توجههم العوامل الاجتماعية وكثيرا ما ينصاع الفرد بشكل أعمى وراء الظروف الاجتماعية المحيطة به . والوظيفة الرئيسية لعلم الاجتماع هو الكشف عن العوامل الاجتماعية الموجهة لسلوكنا دمية اجتماعية في يد المجتمع يحركها كيفما يشاء ووقت ما يشاء .

ما هي أهمية علم الاجتماع ؟

كثيرا ما يتساءل طلبة المدارس والجامعات لماذا ندرس علم الاجتماع ؟ وما فائدته للفرد والمجتمع ؟ ألا يعتبر علم الاجتماع نوع من أنواع تضييع الوقت بالنسبة للفرد! . في الحقيقة أن علم الاجتماع من العلوم الإنسانية الهامة ووصفها أحد العلماء بأنه علم العلوم وجعله يحتل قمة العلوم الإنسانية وترجع أهمية علم الاجتماع إلى عاملين رئيسيين:

أولا : الأهمية العملية:

يمكن لخريجي علم الاجتماع أن يعملوا في عدة مجالات رئيسية منها :

1. مجال التدريس :  خريج علم الاجتماع يمكن أن يعمل في مجال التدريس ونسبة كبيرة من الخريجين يعملون كمدرسين لمادة علم الاجتماع.
2. مجال البحث العلمي : يعمل نسبة من الخريجين الجامعيين كباحثين اجتماعيين في المراكز العلمية والجامعية ، ويقومون بإجراء العديد من الأبحاث الاجتماعية في مختلف المجالات. وإن كان البعض لا يعتمد على البحث العلمي كمصدر أساسي للدخل ، بل يقوم بالأبحاث كعمل ثانوي إلى جانب عمله الأساسي.
3. يمكن لخريجي علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية في الدول العربية العمل بالمستشفيات والمؤسسات الصحية والعيادات النفسية كأخصائيين اجتماعيين ، ففي الوقت الذي نجد فيه الباحث النفسي يبحث في العوامل الاجتماعية المحيطة بالمريض والتي أثرت سلبا على شخصيته.
4. لما كان علم الاجتماع من العلوم الانسانية التي تهتم بالعلقات الإنسانية وأنواع الجماعات لذا فان خريج علم الاجتماع عادة ما ينجح في الأعمال التي تتطلب منه العمل مع الآخرين كالعمل في مجال الإعلام والعلاقات العامة والإدارة وغيرها وعموما فإن دارس علم الاجتماع يستطيع ان يعمل في أي مجال به تعامل مع الناس وينجح فيه حتى لو كان بعيدا عن تخصصه وذلك لأن خلفيته العلمية تؤهله للتعامل مع الآخرين بسهولة.

​ ثانيا: الأهمية العلمية :

تتبلور الأهمية العلمية لعلم الاجتماع في عدة نقاط اهمها :

1. التعرف على الذات : علم الاجتماع علم هام لكل إنسان يرغب في أن يفهم نفسه بشكل أفضل ، ذلك أن دراسة علم الاجتماع تساعد الفرد على أن يدرك احتياجاته كإنسان ، وفهم طبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة بينه وبين الآخرين، والتوقعات المتبادلة بينهم ، والدوافع التي تدفع الإنسان لاختيار سلوك معين دون آخر ، والقيود التي يفرضها المجتمع على أفراده.
2. تصحيح المفاهيم : علم الاجتماع يساعد في تصحيح مفاهيمنا للعالم المحيط بنا . فكثيرا ما يميل الفرد الى الاعتقاد بمفاهيم معينة نتيجة تجربة شخصية ويعممها على الجميع. لكن الدراسة الاجتماعية المنتظمة تصحح مفاهيمنا عن العالم المحيط بنا ، ومن هذه المفاهيم الخاطئة والشائعة بيننا الاعتقاد بأن السود في الولايات المتحدة الامريكية يتعاطون أكبر كمية من المخدرات بين الشباب، لكن الدراسات الاجتماعية أوضحت أنهم أقل الفئات تعاطيا للمخدرات كذلك يعتقد البعض أن الضمان الاجتماعي يشجع الناس على الكسل والاتكالية وعدم الاعتماد على النفس ولكن الدراسات الاجتماعية أوضحت أن أبناء أسر الضمان الاجتماعي يميلون الى العمل حتى لا يكونوا مثل آبائهم.
3. فهم الثقافات الأخرى : يساعد علم الاجتماع على فهم الثقافات الفرعية التي تعيش معنا، وكيفية التعامل معها مما يساعد على تماسك المجتمع وسأضرب مثالا يوضح أهمية علم الاجتماع في فهم الثقافات الفرعية في المجتمع وكيفية التعامل معها: " تطوعت مجموعة من الشباب البيض في امريكا في مساعدة الفقراء السود فذهبوا الى أحد أحياء السود وشاهدوا المنازل المتصدعة القذرة ، وقرروا ان يتعاونوا جميعا على نظافة الشوارع وتنظيف المنازل ودهنها وإزالة القاذورات منها. وبينما هم يمارسون عملهم بحماس هاجمتهم مجموعة من الشباب السود وقاموا بالاستهزاء بهم وإيذائهم والسخرية منهم ، لأنهم اعتبروا ذلك نوعا من تدخل البيض في حياتهم والاستعلاء عليهم ولو أنهم استشاروا بعض الخبراء من الاجتماعيين لاقترحوا عليهم طريقة أفضل لمساعدة سكان المنطقة ، وبشكل يجعل السود يتقبلوها أكثر.

فهم مجتمعاتنا بشكل أفضل : يساعدنا علم الاجتماع على رؤية أنفسنا وفهم مجتمعاتنا كما يراها الآخرون من الخارج لا كما نراها نحن من الداخل فقط. فنشأة الفرد في مجتمع معين واكتسابه لثقافة هذا المجتمع تجعله يتقبل هذا المجتمع تقبلا تاما، فلا يندهش لعاداته أو تقاليده ، حتى وان كلان لا يعرف مصدر هذه العادات او التقاليد. إذ عادة لا يرى الشخص العادي مجتمعه كما هو في الواقع، بل يميل الفرد إلى تبجيل كل ما مألوف لديه والاستسلام له بلا نزاع. كذلك يميل الفرد إلى تقييم الظواهر المحيطة به من وتقع تجربته الذاتية فتكون رؤيته للأحداث والظواهر التي تحدث من حوله غير موضوعية. وهذا ما يجعل ابناء المجتمع الواحد لا يستطيعون تفسير تصرفاتهم أو بعض ممارستهم الثقافية، ويعتبرونها تصرفات غريزية لا تحتمل السؤال أو النقاش فعلى سبيل المثال إذا ما سألت المرأة المسلمة لماذا ترتدي الحجاب أجابت لأن ديني أمرني بذلك ، وهي لا تدرك جميع العوامل الاجتماعية و الثقافية التي تدفعها إلى لبس الحجاب كإحساسها بأن الحجاب يكسبها احترام الناس وتقديرهم أو أنه رمز لمكانة أسرتها, وأنه أصبح جزءاً من الهوية الإسلامية للمرأة.

5 . تدعيم التواصل بين المجتمعات: يساعد علم الاجتماع على تدعيم التواصل والتفاهم بين المجتمعات. إذ عادة ما ينظر الفرد لثقافة الآخرين بأنها ثقافة غريبة وغير منطقية وغير عملية, بل قد يعارض أي سلوك آخر في المجتمعات الأخرى لأنها تخالف ثقافته, ويرى أن سلوك مجتمعه هو الصواب وسلوك الآخرين هو الخطأ. و من الممارسات الثقافية التي تمارس في بعض البلاد والتي تحظى بكثير من الدهشة والاستغراب لدى الآخرين تقديس البقر في الهند, ويعتقد البعض أن امتناع الهنود عن اكل لحم البقر رغم موت الآلاف كل عام من الجوع تصرف غير منطقي. والحقيقة التي أدركها علماء الاجتماع أن البقر يشكل عصب الحياة في الهند, وأن امتناع العنود عن أكلها ما هو إلا محاولة من الإنسان للمحافظة على الثروة القومية.

6 . التأكيد على النسبية الثقافية: من إسهامات علم الاجتماع أنه يوقظ فينا الإحساس بالنسبية الاجتماعية, فندرك أن القيم والعادات والتقاليد والعرف تختلف باختلاف المكان والزمان, وهذا ما يجعلنا نتقبل اختلاف الآخرين عنا. فعلماء الاجتماع يدركون جيدا أنه ليس هناك حقيقة واحدة أو مجتمع إنساني واحد, بل هناك عدة الحقائق وعدة مجتمعات. لذا يسعى الاجتماعيون إلى دراسة السلوك الاجتماعي للأفراد وتصنيفه إلى أنماط متكررة من السلوك. وهذه الأنماط قد لا تكون مرئية أو واضحة للأفراد العاديين في المجتمع, وقد لا يلحظها المسؤولون في المجتمع, بل قد ينكرون وجودها لأنهم لا يودون الاعتراف بوجود اختلافات,أو عيوب أو مشكلات في هذا المجتمع, بل يحرصون على تصوير المجتمع على انه في حالة تجانس وانسجام. ولكن وظيفة الاجتماعيين دراسة المجتمع بموضوعية والكشف عن أنماط السلوك المختلفة السائدة فيه, وأسبابها, ثم يكون على الأخصائيين الاحتماعيين والمسؤولين مهمة تصحيح هذه الأخطاء أو معالجة هذه المشكلات.

7 . الكشف عن أسباب المشكلات الاجتماعية: يبحث علم الاجتماع في أسباب الكثير من المشكلات الاجتماعية كالفقر والجريمة والعنصرية ويحاول معرفة العوامل الاجتماعية التي ساعدت على وجودها ومحاولة وضع الحلول لها.

8 . يساعد في وضع خطط التنمية: يمكن لعلماء الاجتماع من خلال دراساتهم ورؤيتهم السوسيولوجية للمجتمع المساهمة في وضع خطط التنمية بشكل وافعي موضوعي, وإحداث التغيرات بشكل مخطط, ذلك أن علماء الاجتماع يمكنهم معرفة إمكانات المجتمع ومشكلاته, مما يساعدهم على وضع إطار تصوري لكيفية إحداث التغير في المجتمع.

. اهتمامات علم الاجتماع:

لكل علم من العلوم الإنسانية مجموعة من الاهتمامات النظرية والاستفسارات التي يحاول الإجابة عليها, وأهم اهتمامات علم الاجتماع هي :

1 . الكشف عن الحقائق: - يحاول علم الاجتماع الكشف عن الحقائق في المجتمع مثل الكشف عن مدى وجود العدالة في النظام التعليمي أو الاقتصادي أو السياسي في أي بلد, أو الكشف عن معدلات الطلاق أو الجريمة أو الانحراف في المجتمع. فالسؤال الأول الذي يسأله الباحث الاجتماعي هو ماذا يحدث في المجتمع؟ , ماذا حدث للمهاجرين؟ ماذا يعمل الناس في اوقات فراغهم؟

2 . الكشف عن أسباب استمرارية المجتمع: يسعى علماء الاجتماع إلى الكشف عن كيفية سير الحياة في المجتمع, فهو دائما يسألون كيف حدثت هذه الظاهرة؟ كيف يتم تقسيم العمل في المجتمع؟ كيف يتم اتخاذ القرار في المجتمع؟

3 . الكشف عن السبية: من الأسئلة الهامة التي يحرص الباحث الاجتماعي على سؤالها لماذا تحدث المشكلات الاجتماعية؟ لماذا ترتفع نسبه العنوسة في المجتمع؟ لماذا تزداد موجة التطرف الديني والإرهاب؟ لماذا تنخفض الأجور في الدول النامية؟

4 . المقارنة بين المجتمعات: يحاول علماء الاجتماع دراسة ظاهرة ما في مجتمعين أو أكثر, ومحاولة معرفة أوجه الشبه والاختلاف بينهما.

5 . السؤال عن الأمور التاريخية: يسعى علم الاجتماع إلى دراسة ظاهرة تاريخية معينة, ومحاولة الكشف عن أسبابها ومراحل اطورها في عدة فترات تاريخية.

. تحديات علم الاجتماع:

يواجه علم الاجتماع الكثير من الناس بالارتياح لدراسة علم الاجتماع لاعتقادهم بأن علم الاجتماع يخلق المشكلات للمجتمع, والحقيقة هي أن علم الاجتماع لا يخلق المشكلات ولكن يكشف الستار عن الكثير من الحقائق الاجتماعية والمشكلات الاجتماعية السائدة في المجتمع. و معرفة الحقيقة شعور غير مريح للكثيرين خاصة ممن قد تتعرض مصالحهم للخطر نتيجة لهذه المكاشفة وهذه الحقائق.

ويتساؤل علماء الاجتماع تساؤلات كثيرة مثل كيف يعمل المجتمع؟ ومن المستفيد من استمرار المجتمع بهذا الشكل وهذا التنظيم؟ وهل يمتلك الحاكم الحقيقي السلطة في إدارة زمام الأمور؟ أم أن هناك قوى أخرى تؤثر في اتخاذ القرار؟ وهل هناك عدالة في هذا المجتمع؟ وهل الكفاءة والموهبة هي أساس تقيم الفرد في المجتمع ووضعه في المكان المناسب له؟ وعلى سبيل المثال هل إذا كان الرئيس كلينتون امرأة هل كان بالإمكان أن يفوز في الانتخابات؟ أو إذا كان توني بلير رئيس وزراء بريطانيا أسود اللون هل كان يفوز برئاسة الوزراء؟ ولماذا تعطى القروض للأغنياء أكثر مما تعطى للفقراء؟ وهل يعاقب القاتل في أي جريمة بنفس الدرجة والعقاب بغض النظر عن جنسيته أو ثروته أو أسرته؟ هذه الأسئلة وغيرها من الأسئلة آلتي تناقش قضايا المجتمع كثيرا ما تثير حمية الكثير من الأفراد لأنها من وجهة نظرهم قضايا خاصة أو مقدسة لا ينبغي الخوض بها.

ثانيا: لا يشعر البعض بالارتياح للدراسات الاجتماعية لأن المعرفة الاجتماعية تحرر الفرد من الكثير من القيود التي تفرضها عليه معتقداته الثقافية أو الاجتماعية, ولكنها في نفس الوقت قد تزيد من توتره وعصبيته أو إحساسه بالوحدة والاغتراب في مجتمعه فيرفضها.

. ثالثا: قد يشعر البعض بعدم الارتياح لوجود علم الاجتماع لإحساسهم بأنه من الصعب التنبؤ في علم الاجتماع بشكل دقيق كما هو الحال في العلوم الطبيعية. ففي العلوم الطبيعية نجد أن أكسيجن وهيدروجين ينتج ماء وفي الرياضيات 1+1=2, لكن في العلوم الاجتماعية من الصعب التنبؤ 100% بما سيحدث مستقبلا. وذلك يرجع إلى أن الإنسان لا يتصرف دائما بشكل منطقي عقلاني ومنتظم. فقد يكون رد فعل الفرد للموقف مخالفاً تماماً لما هو متوقع منه. فعل سبيل المثال قد يفوز أحد الأحزاب في أمريكا أو بريطانيا بشكل غير متوقع نهائيا. أو قد يفوز أحد المرشحين بالانتخابات بشكل غير متوقع فقط لأن الأفراد يرغبون في التغيير. وهكذا فإننا نجد أن فهم الواقع الاجتماعي لا يعتمد فقط على الخبرة الفردية. بل يتطلب وجود فهم و حس اجتماعي لدى الباحث, أي تكون لديه القدرة على التحليل والكشف عن ماوراء الأمور المادية المحسوسة, وأن يرى الحياة الاجتماعية من الداخل, ويعرف العلاقات المتداخلة بين أجزائها.

. رابعاً : قد يشعر البعض بعدم قيمة علم الاجتماع لأنه قد يقلل من قيمة الكثير من المعتقدات التي يؤمن بها الفرد سواء كانت هذه المعتقدات أيديولوجية أو اجتماعية أو سياسية أة اقتصادية, وإخضاع الباحث هذه الظواهر للدراسة يجعلها تفقد طابع القدسية التي كان ينظر بها الفرد لهذه الظاهرة.

. أهم المشكلات آلتي يواجهها علماء الاجتماع:

هناك مشكلتان رئيسيتان تواجهان علماء الاجتماع:

1 . الموضوعية:

الموضوعية اتجاه فلسفي يرى أن المعرفة إنما ترجع إلى حقيقة غير الذات المدركة. ويقال في اللغة العربية بحث الأمر بموضوعية: أي اعتمد في حكمة على الوقائع لا على الأحكام الشخصية. ذلك أن عالم الاجتماع كأي إنسان أو عضو في المجتمع معرض لأن يتأثر بالثقافة السائدة من حوله, فينظر للأمور بمنظور الثقافة التي نشأ عليها, فتتلون أحكامه ومعتقداته ومفاهيمه بالوسط الاجتماعي المحيط به. وهذا قد يحول دونه ودون الموضوعية المطلوبة منه في قضية من القضايا. فالموضوعية تحتم على الباحث الاجتماعي أن يدرس الظاهرة كما هي لاكما يجب أن تكوزن. لذا كان على الباحث أن يتجرد من احكامه الذاتية ويدرس الظاهرة دون تحيز أو أحكام مسبقة.

2 . الحيادية:

كذلك من الانتقادات التي توجه لعلم الاجتماع هي البعد عن الحيادية في البحث. والحيادية في اللغة العربية تعني عدم الانحياز لطرف دون آخر والمعنى اللغوي لكلمة حاد عن الشئ تعني مال عنه, والحيادية في علم الاجتماع تعني عدم الميل لجانب دون آخر. وهذه إحدى المشكلات التي يواجهها علماء الاجتماع. ذلك أنه على الباحث الاجتماعي عدم الانحياز لثقافته المحلية في تقييمه للظواهر الاجتماعية في المجتمعات الأخرى . بل عليه أن يتحلى بالحيادية ويدرس الظاهرة بعقلانية بعيدا عن العواطف والأهواء وبغض النظر عما إذا كانت هذه الظواهر توافق معتقداته أم تعارضها (Eitzen.1995).

 وقد يعتقد البعض أنه من الصعب عل الباحث تحقيق الحيادية التامة في أحكامه لأنه من الصعب على الإنسان التخلي عن قيمه الأخلاقية Moral Values في نظرته للأمور ، كما أنه ليس من السهل على الإنسان التخلي عن اتجاهاته السياسية فاتجاه الباحث السياسي غالبا ما يؤثر على النظرية التي سيتبناها ، إذ تؤثر نظرية الفرد واتجاهاته على الأسئلة التي سيطرحها للبحث.

* ضوابط علم الاجتماع:

حقا أن علم الاجتماع كعلم إنساني يعاني من بعض المشكلات أو التحديات التي ذكرناها ، ولكن لكي يتغلب هذا العلم على بعض الصعوبات التي يعاني منها ، وكي يحافظ على مصداقيته كعلم فقد وضع بعض الضوابط لدراساته وأهم هذه الضوابط أن أي عمل اجتماعي أو بحث لا يقبل للنشر في أي مجلة أو كتاب علمي إلا بعد عرضه على لجنة تحكيم مكونة من ثلاثة باحثين أو أكثر متخصصين في هذا المجال لتقييم هذا العمل من حيث المنهج والنظرية ومصداقية المعلومات التي تنشر. فهذه المجلات هي بمثابة الحارس الذي يراقب ما ينشر وهناك شروط معينة يجب أن يراعيها الباحث حتى يقبل عمله للنشر أهمها:

* لما كان الباحثون يختلفون في مهاراتهم ومعارفهم الذاتية لذا يجب على الباحث قبل القيام بالبحث تحديد أهداف موضوعية للدراسة.
* يجب عل الباحث استخدام المنهج العلمي في البحث.
* يجب على الباحث التزام الموضوعية في عرض النتائج، وأن يستبعد تقييمه الشخصي قدر الإمكان.
* يجب على الباحث ذكر الجهة الممولة للبحث ( إذا كان ممولا من قبل احد ) أو أي جهة مسؤولة عن البحث.
* يجب على الباحث أو فريق البحث أن يكونوا واعيين بدورهم كباحثين ،وكيف يمكن أن تؤثر أفكارهم أو اتجاهاتهم أو تجاربهم الشخصية على مسار البحث ونتائجه.
* أخيرا يمكننا القول ان البحث الاجتماعي كأي عمل علمي آخر تحكمه الجودة، فجودة العمل والتزامه الأمانة العلمية هي التي تحدد العمل الجيد من العمل غير الجيد.

وعموما فإن علم الاجتماع يضع نفسه دائما في خدمة المجتمع المحلي والمجتمع العالمي في نفس الوقت، بعكس الكثير من العلوم الأخرى التي تغلق نفسها على العدد القليل من المتخصصين فيها ، ولا تبذل فيها محاولات حقيقية لجعل نتائج دراستها في متناول الجميع. وردا على هؤلاء الذين يتهمون علماء الاجتماع بأن أسلوبهم غير ملائم حيث أنهم في كثير من الأحيان يستخدمون اللغة العادية وليس المصطلحات العلمية البحتة في عرض نتائجهم ، نؤكد أن علماء الاجتماع يحاولون دائما الوصول بمعارفهم للجميع ، ولا يحاولون وضعها في قصور عاجية ، فهم يؤمنون بأن المعرفة حق للجميع ، وليست قصرا على فئة دون أخرى . كما نؤكد أن الصور الأدبية لأعمال هؤلاء ليست أقل قيمة بصفة عامة عما نجده في كثير من فروع المعرفة الإنسانية.

* **ملخص الفصل الأول:**
* اتفق علماء الاجتماع على أن علم الاجتماع هوا العلم الذي يدرس المجتمع ، ولكنهم اختلفوا في التركيز على أي جانب من جوانب المجتمع : البناء الاجتماعي أم التفاعل الاجتماعي أم الظواهر الاجتماعية أم العوامل الاجتماعية الموجهة لسلوك الفرد أم الجماعات الاجتماعية.
* يختلف علم الاجتماع عن العلوم الإنسانية الأخرى في نظرته الشمولية للظاهرة فهو يدرس الظاهرة وعلاقتها بجميع النظم الاجتماعية.
* من أهم العلماء الذين ساهموا في نشأة علم الاجتماع وتحديد موضوعاته ابن خلدون وأوجست كونت وإميل دوركايم وكارل ماركس وفيبر.
* أكد ابن خلدون على أهمية وجود علم لدراسة المجتمع أطلق عليه اسم " علم العمران البشري " الذي يهتم بدراسة سلوك الإنسان الاجتماعي ، كما اهتم ابن خلدون بعوامل تطور المجتمعات من البداوة إلى الحضرية ، واهتم بعوامل تماسك المجتمع.
* أوجست كونت أول من أطلق اسم علم الاجتماع على العلم الذي يدرس المجتمع. وقسم علم الاجتماع إلى قسمين رئيسين : الديناميك سوسيال ، والإستاتيك سوسيال ، كما حدد منهج البحث في علم الاجتماع.
* اهتم إميل دوركايم بدراسة الحقائق الاجتماعية والبناء الاجتماعي وأكد على أن للمجتمع وجودا منفصلا عن الأفراد ، كما أكد على وجود العقل الجمعي . كذلك وضع دوركايم قواعد البحث في علم الاجتماع.
* يسعى علم الاجتماع في تحقيق عدة أهداف أهمها : وصف الواقع الإجتماعي ، وتفسير الظواهر والمشكلات الاجتماعية ، ومحاولة الوصول إلى القواعد التي تحكم السلوك الاجتماعي ، كما يسعى إلى تنمية الخيال الاجتماعي للفرد ، وأخيرا يحاول تصحيح مفاهيمنا عن بعض القضايا المحيطة بنا.
* لعلم الاجتماع أهمية عملية تتمثل في المجالات لخريجي الاجتماع العمل بها.
* وأهمية علمية تتمثل في فهم الإنسان لنفسه ، ولمجتمعه ، وللثقافات الفرعية ، وفي تدعيم التواصل بين الشعوب ، وإيقاظ إحساس الفرد بالنسبية الاجتماعية ، وأخيرا يساعد العلم في فهم مشكلات المجتمع والمشاركة في خطط التنمية الاجتماعية.
* يحاول عالم الاجتماع أثناء دراسته لأي ظاهرة اجتماعية الإجابة على الأسئلة الثلاث : ماذا ، وكيف ، ولماذا ؟ ثم يحاول دراسة الظاهرة تاريخيا ويقارنها في عدة مجتمعات لاستخلاص القوانين.
* يواجه علم الاجتماع بعض المشكلات كالموضوعية والحيادية في البحث ، إلا أنه تغلب عليها بوضع الضوابط التي تحافظ على مكانة العلم .

**أسئلة على الفصل الأول**

* ما هو علم الاجتماع ؟ وما هو المنظور الاجتماعي ؟
* ما هي أهمية علم الاجتماع ؟ وما هي أهدافه ؟
* ما أهم الموضوعات التي يهتم بها عالم الاجتماع ؟
* كيف نظر ابن خلدون لعملية تطور المجتمعات ، وعوامل انهيارها ؟
* ما هي أوجه الاختلاف بين الباحث الطبيعي والباحث الاجتماعي ؟
* ما هو المستقبل الذي ينتظر النظم الرأسمالية من وجهة نظر ماركس ؟
* ما هي أوجه الاختلاف بين ماركس وفيبر في نظرتهما للرأسمالية ؟
* كيف رأى دوركايم تأثير الثورة الصناعية على المجتمع ؟
* كيف رأى أوجست كونت تأثير الثورة الصناعية على المجتمع ؟
* كيف يمكن لعلم الاجتماع أن يحدم المجتمع ؟
* ما الفرق بين علم الاجتماع وعلم النفس ؟
* ما هي الأهمية العلمية والعملية لعلم الاجتماع ؟
* " يواجه علم الاجتماع كعلم العديد من التحديات " ما هي هذه التحديات ؟ وكيف استطاع التغلب عليها ؟
* ما هي أهم المشكلات التي تواجه علم الاجتماع ؟
* ما هي الضوابط التي يضعها العلم للمحافظة على مصداقيته كعلم ؟